التنشئة الاجتماعية السياسية
مفهومها، جذورها

أ.م.د. صلاح عبد الهادي
كلية العلوم السياسية/ جامعة بغداد
الباحث علي عبد العزيز الياسري
المركز الوطني للتخطيط المشترك

المقدمة

تعد التنشئة الاجتماعية السياسية من الوسائل المهمة واكثرها نجاحا في الحفاظ على النظام السياسي وضمان استمراره، وتقوم بتحويل الفرد إلى انسان اجتماعي سياسي، ولا تقتصر عملية التنشئة الاجتماعية على جانب واحد من جوانب الفرد وانما تشمل عدة جوانب تتعلق بالفرد حتى تساعده على التكيف في الحياة والتعامل مع المجتمع اجتماعيا وسياسيا،وتقوم التنشئة الاجتماعية بالمحافظة على استمرارية الوضع الراهن والتكيف مع الاوضاع المستجدة، فضلا عن ادخالها بعض التغيرات على الواقع الاجتماعي السياسي من اجل استمرار وبقاء النظام والاجتماعي والسياسي.

وقد اقتصر هذا البحث على مفهوم التنشئة الاجتماعية السياسية وجذورها، وكانت عملية البحث في الموضوع الاول بين المراجع القديمة والحديثة عربية كانت او مترجمة، كذلك تراوحت بين الدراسات العامة والدراسات النظرية الاكاديمية، لان هذا الموضوع اهتم به من زمان بعيد وهذا ماأثبتته الدراسة. اما الموضوع الثاني فكان منصبا على جذور التنشئة الاجتماعية السياسية، اظطررنا من العودة إلى زمن ليس بالقريب حتى نرجع إلى اصل هذا المصطلح ومدى الاهتمام به قديما وحديثا.

وقد اعتمدت الدراسة على جملة من المراجع والدراسات القديمة والحديثة للتوصل إلى ابرز النتائج والامور المهمة، اكثرها درجت ضمن قائة المصادر والمراجع في نهاية البحث.

ارجو قد وفقت في هذه الدراسة وهي بمثابة الجزء الاول الذي اقتصر على مفهوم التنشئة الاجتماعية السياسية وجذورها وسيلحقها تباعا اهميتها وعواملها واهدافها.

مفهوم التنشئة الاجتماعية السياسية

تعرف التنشئة (Socialization) بانها عملية تلقين الفرد قيم ومقاييس ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه حتى يتمكن من إشغال مجموعة ادوار تحدد نمط سلوكه اليومي، والتنشئة الاجتماعية هي عملية مهمة لكل من الفرد والمجتمع اذ ان الفرد بدون اهداف عليا وبدون وسائل سلوكية وبدون الفرص الضرورية التي تساعده في اكتساب الخبرات والتجارب والمعلومات التي تتطلبها حياته الخاصة والعامة لا يمكن ان يطور نفسه وينمي قدراته وقابلياته التي يحتاجها المجتمع، والأفراد الذين يحيطون به يقومون بتربية الفرد فيكتسب منهم الأدوار الاجتماعية التي بالتالي تكون مكملة لأدوارهم[1]. فالاحوال الاجتماعية الشائعة والعادات المألوفة تؤثر تأثيرا بليغا في حياة الانسان الفكرية وفي اسلوبه في الحياة وترسم بذلك شخصية الإنسان

لتجعله قادرا على مواجهة الحياة بدافع التقليد والاقتداء، فالتقليد من وجهة نظر (ابن خلدون) عريق في الادميين حين يقول: (انظر ذلك في الابناء مع ابائهم كيف تجدهم مشتبهين بهم وما ذلك الا لاعتقادهم الكمال فيهم[٢]).

والتنشئة لغة هي التربية، ونشأ ينشأ نشأً: ربا وشب، ونشأت في بني فلان اي شببت فيهم، وجاء في شعر العرب قول الشاعر[٣]:

ولَوْلا اَنْ يُقَالَ صَبْا نُصَيْبٌ لَقُلْتُ بِنَفْسِيَ النَّشَأُ الصِّغارُ

ويصنف موضوع التنشئة الاجتماعية ضمن موضوعات علم النفس الاجتماعي، لانه يقوم بدراسة سلوك الأفراد والجماعات من خلال المواقف الاجتماعية المختلفة التي تحدث بين الآباء والأبناء، بين المدرسين والطلبة، بين رب العمل والعمال، بين المعالج والمريض، بين الرئيس والمرؤوس، ويدرس ايضا صور التفاعل الاجتماعي المتناقضة ونتائجها، مثل التعاون والتنافس، الحب والبغض، التسامح والتعصب، وغيرها[٤] لذلك فان عملية اكتساب الخبرات والثقافات وكل ما يتعلق بحياة الفرد من جميع نواحي الحياة لا يمكن ان يكتسبها الشخص عند ولادته وانما يحصل عليها خلال سِني حياته وعلى مختلف مراحلها، لذلك نرى ان لكل مجتمع قواعد خاصة واسس معينة يرسمها لكي يكتسبها الفرد خلال مراحل حياته.

فالتنشئة الاجتماعية في هذه الحالة هي عملية تحويل الفرد الى شخص والفرق بين الفرد والشخص ان الاول هو مجرد الوجود والثاني هو الانسان الاجتماعي، فهي بذلك العملية التي يصبح بها الفرد عضوا في مجتمع الكبار يشاركهم نشاطهم ويمارس معهم حقوقه وواجباته[٥]، فالنمو الاجتماعي هو تربية وفي جوهره تنمية، فالتنشئة الاجتماعية والنمو الاجتماعي يعنيان شيئا واحدا وان الجانبين عملية تعلم اجتماعي[٦].

لهذا فالتنشئة الاجتماعية كأي نشاط انساني هادف هي عملية تعلم وتعليم وتربية ونضج ونمو وارتقاء تقوم على التفاعل الاجتماعي الايجابي، وتهدف الى اكساب الفرد طفلا فمراهقا فراشدا فشيخا سلوكا وقيما واتجاهات مناسبة لادوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة الجماعة والتوافق معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي والثقافي، وتسير له سبل التكيّف والاندماج في إطار الحياة الاجتماعية، بتعبير اخر هي عملية تحويل الفرد من كائن عضوي حيواني السلوك الى كائن آدمي اجتماعي التصرف في وسط افراد آخرين من البشر، ومن كائن ذي دوافع فطرية غريزية الى كائن ذي حاجات اجتماعية، ومن كائن يعتمد كليا على والديه الى كائن يعتمد على ذاته[٧]، فهي عملية اكساب الفرد صفة الانسانية وجعله آدميا متوافقا مع افراد المجموعة التي يندمج فيها ويكون عضوا من اعضائها، فهي عملية تطبيع وتطويع للمادة الخام للطبيعة البشرية في القالب الاجتماعي واستدخال واستدماج ثقافة المجتمع في بناء شخصية الفرد وتمثله لها، واكسابه النمط الثقافي والاتجاهات والقيم والمعايير السائدة في الجماعة والمجتمع[٨].

من خلال ما تقدم يتضح ان العمليات التي يتلقاها الكائن الحي البشري تعمل على تحويله من طفل عديم القدرة الى انسان ناضج، فلا يكون هناك نوع من الكائنات الحية يمر بعملية مكثفة طويلة في النمو مثلما يتلقاها الكائن الحي البشري، ويلاحظ ايضا في نمو الانسان التعدد والتناقض الذي لا يمكن ملاحظته في نمو الفصائل الحيوانية، فعندما ينمو الكائن البشري يتعلم لغة او اكثر من اللغات، ويكتسب ثروة، وانواع متنوعة من المساعدة هذا التحول في حياة الوليد البشري يحدث نتيجة لعملية التنشئة الاجتماعية[٩].

ويرى علماء النفس الواقعيون ان الانسان كيان عضوي بيولوجي ذو جهاز راق وميول اجتماعية متأصلة وترفض الواقعية رد انجازات الانسان الثقافية الى قوى منفصلة ذات طبيعة مستقلة هي العقل او النفس[١٠] هي ما يتعلمه الفرد، ومتى يتعلمه، وكيف يتعلمه، والاثار الشخصية التي تترتب لهذه العملية عليه[١١].

ولقد عرف علماء النفس مفهوم التنشئة الاجتماعية بأنها:" العملية التي يستطيع بمقتضاها الأفراد المنشئين اجتماعيا عن كبح نزواتهم وتنظيمها وفق متطلبات المجتمع ونظامه الاجتماعي السائد ويكون سلوكهم هذا مناقضا لسلوك الأفراد غير المنشئين اجتماعيا، والذين تؤدي أنانيتهم في إشباع نزواتهم للإضرار بالآخرين وبسلامة المجتمع[١٢]".

اما التنشئة الاجتماعية حسب المفهوم الاجتماعي ما هي إلا " تدريب الأفراد على أدوارهم المستقبلية، ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع، وتلقنهم للقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد والعرف السائد في المجتمع لتحقيق التوافق بين الأفراد وبين المعايير والقوانين الاجتماعية، مما يؤدي إلى خلق نوع من التضامن والتماسك في المجتمع [١٣]".

و من وجهة نظر علماء الأنثروبولوجي بأنها عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي مستمرة، تبدأ من الميلاد داخل الأسرة وتستمر في المدرسة وتتأثر بجماعات الرفاق ونسق المهنة ومن ثم تستمر عملية التنشئة بأتساع دائرة التفاعل وهي تسعى لتحقيق التكامل والتوحد مع العناصر الثقافية والاجتماعية[١٤].

اما مفهوم التنشئة الاجتماعية السياسية: فهي العملية التي يتعرف بها الفرد على النظام السياسي والتي تقرر مداركه للسياسة وردود افعاله ازاء الظاهرة السياسية، فقد كان الاهتمام به منذ بدايات الحضارة، واكد فلاسفة السياسة كذلك خلال زمن طويل على التنشئة الاجتماعية السياسية وذلك لاهميتها، الا ان اهمال علماء السياسة لهذا الموضوع يثير الاستغراب من نواح عديدة، فقد كانت اهميته تبدو واضحة ولم يغفلوا عنها الحكام ابدا، فكان اهتمامهم متواصلا على مر الازمان بمشاكل التربية السياسية، فهي تنطوي على دراسة الوسط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي في المجتمع وتأثير ذلك على الفرد وعلى مواقفه وقيمه السياسية ومن هذه الناحية تعد التنشئة الاجتماعية السياسية اهم رابطة بين النظم الاجتماعية وبين النظم

السياسية، ولكن هذه الرابطة قد تختلف من نظام الى اخر ومن وجهة نظر سياسية الى وجهة نظر اخرى، لذا تعد التنشئة الاجتماعية السياسية مهمة للغاية لكونها قد تدفع بالافراد الى الانخراط بمستويات متباينة في النظام السياسي القائم وفي المساهمة السياسية[١٥].

جذور التنشئة الاجتماعية السياسية

أولاً- على صعيد الحضارات القديمة:

لم يكن موضوع التنشئة الاجتماعية السياسية بعيدا عن اهتمام الباحثين والمفكرين والسياسيين والدارسين بهذا الشأن، فقد كان اهتمامهم منذ زمن بعيد بعملية التنشئة الاجتماعية السياسية كونها إحدى الوسائل التي يقوم بها المنشئون في ثنايا عملية التنشئة الاجتماعية، لذلك نرى انشغال الفلاسفة والعلماء والمفكرين بالبحث والدراسة عن انجح السبل والإجراءات والوسائل لتنشئة وإعداد طبقات اجتماعية أو تحديد مواصفات المواطن الصالح في المجتمع، فضلا عن العناية بتربية طبقات الحكام أو الصفوة كونها محور الحياة الاجتماعية[١٦]، فكان هذا الموضوع على مر السنين يشغل بال العاملين بمضماره، ففي الحضارات القديمة على مختلف أنواعها وأماكنها نرى الاهتمام المتزايد بموضوع التنشئة والتربية الاجتماعية السياسية في كل من حضارة وادي الرافدين ووادي النيل والحضارة الصينية والحضارة الإغريقية ومن ثم الحضارة العربية الإسلامية، وهذا يؤكد لنا الاهتمام المتزايد بموضوع التنشئة الاجتماعية السياسية منذ عصور ما قبل التاريخ وصولا إلى العصر الحديث. ولأجل التعرف على الأساليب والإجراءات التي اتبعت في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية على مر العصور لابد من قراءة الأفكار التي تضمنتها دراسات الفلاسفة والعلماء والمفكرين الذين وصلتنا نتاجاتهم في هذا الجانب. ولنأخذ على سبيل المثال (الحكيم احيقار الذي عاش في القرن الثامن ق.م في حضارة وادي الرافدين) انموذج لفلسفة التنشئة الاجتماعية السياسية في العراق القديم، الذي جاءت على شكل نصائح وامثال وان التنشئة في نظره اعداد جيل مؤمن بالروح والعمل[١٧]. ومن نصائح (احيقار) التي كانت بمثابة التنشئة الاجتماعية السياسية المتعبة في ذلك الوقت ترينا كيف كان الانسان العراقي القديم يتطبع وماهي الفلسفة التي كانت سائدة في ذلك الوقت[١٨]:

ففي مجال كتمان السر قال: (يابني لاتذع كل كلمة ولاتفش كل امر يخطر لك، لان في كل مكان عيونا واذانا، فاحفظ لسانك مراقبا ولاتدعه يدمرك)، وقال ايضا: (اعظم ما تراقب تراقب فمك، واغلق قلبك على كل ما تسمع لان الكلمة هي كالطير، اذا ارسلتها فلن تستطيع اصطيادها ثانية)، ومن نصائحه في الموضوع نفسه: (احصي اقوال فمك، ثم اطلقها نصيحة لاخيك، ان دمار الفم اشد خطرا من دمار الحرب)، وقال: (لاتفشي اسرارك لصديقك، لان اسمك لن يبقى محترما لديه)، ومن نصائحه الاخرى في مختلف المجالات لتنشئة الافراد التنشئة الاجتماعية السياسية يقول احيقار: (ان الانسان لايعرف بقلب رفيقه اذا وجد الرجل الصالح رجلا شريرا فليحذره)، (اذا اردت يابني ان ترتفع فاتضع امام الله...الذي يذل المتكبر ويرفع

المتواضع). من خلال ما تقدم يظهر لنا تفكير اصحاب الحضارة الاولى كيف كان فيما يخص عملية التنشئة الاجتماعية السياسية، فهي تنشأ في اطار مجتمعي مميز، وتعمل جنبا إلى جنب مع مؤسسات االمجتمع الاخرى باتجاه خدمة النظام الاجتماعي[١٩].

فموضوع التنشئة الاجتماعية السياسية كان محط اهتمام واسع ليس في حضارة وادي الرافدين فحسب وانما على مستوى الحضارات العالمية الاخرى، ففي الحضارة الصينية نقرأ أفكار الفيلسوف والمفكر الصيني(كونفوشيوس ٥٥١-٤٧٩ق.م)[٢٠] الذي أكد في كتاباته على ضرورة غرس معاني الحق والعدل والحب في نفوس البشرية منذ الصغر وذلك عن طريق التعليم الجاد حتى ينشأ نظام اجتماعي قويم يتسنى معه قيام حكم صالح[٢١]، ويفهم من آراء كونفوشيوس انه دعا إلى إعداد جيل صالح يتولى أمور الدولة عن طريق التنشئة الصحيحة.

وكانت الحضارة اليونانية تؤكد على التنشئة العسكرية وحمل السلاح والحفاظ عليه والصمود في المعارك، وكانوا ينشئون الافراد التنشأة العسكرية الصرفة لما تتطلبه المرحلة منهم، وكيفية الدفاع عن المعابد والممتلكات العامة، والحفاظ على الوطن وتسليمه الى الاجيال دون نقص، واطاعة القوانين واحترامها، والتمسك بدين الاباء. وللتأكيد على ذلك فقد كانوا الافراد يلقون القسم الذي اطلق عليه (قسم الافيبيا Ephebia oath) وهذا القسم نص على[٢٢]:

(اقسم على انني لن ادنس هذه الاسلحة المقدسة كلا ولا ان اهرب من كتيبتي في الجيش، سوف احارب دفاعا عن المعابد والممتلكات العامة او مع رفاقي، وسوف أُسلّم وطني إلى الاجيال الاتية من بعدي لا سليما وغير منتقص فحسب، بل اعظم واحسن مما تسلّمته من اسلافي،وسوف اطيع احكام القضاة الذين كانوا ويكونون في سدة الحكم، سوف احترم كل القوانين القائمة الان او تلك التي سيقرها الشعب بالاجماع في المستقبل، واذا حاول اي شخص ان يبطل مفعول هذه القوانين او يزوّرها فاني سابذل جهدي لمنعه من ذلك وسأدافع عنها وحيدا او في صحبة رفاقي من المواطنين، وسوف اتمسك بدين ابائي واشهد على ذلك اكلاوروس وانيالوس وآرسي وثالو واكزوس وهجيمون...[٢٣]).

فذهب (سقراط ٤٦٩-٣٩٩ ق.م)[٢٤] وهو من الجماعة الذين يطلق عليهم اسم السفسطائيين(Sophists)[٢٥] إلى ان العلم اساس الفضيلة، وكان يؤكد على دور التقاليد والعادات القائمة على الاصول والمبادئ الديمقراطية في تدبير شؤون المجتمع الانساني، وهذا كان بمثابة الخطوة الاولى والدعامة الأساسية للتنشئة الاجتماعية السياسية، كما بين سقراط ان افضل طريق للوصول إلى الحقيقة هو الحوار[٢٦]، وهكذا كانت السقراطية في الفلسفة الاغريقية تحولا عن البحث الفلسفي المنصب مبدأيا على العالم المادي إلى البحث في مجال الاخلاق والعقل والروح[٢٧].

ويرى(افلاطون٤٢٧-٣٤٧ ق.م)[٢٨] وقوع مسؤولية تولي عملية التنشئة الاجتماعية السياسية على الدولة، ويؤمن ان التنشئة الاجتماعية السياسية عملية مهمة وحيوية لبقاء واستمرار الدولة، ومن المعروف ان افلاطون قد اشتهر في البدء بالسياسة، وعني بالعلم والفلسفة وله اراء مشهورة بهما، ويعتقد افلاطون ان التنشئة الاجتماعية هي الوسيلة الايجابية التي تمكن الحاكم من ادراك جوهر الطبيعة البشرية وتوجيهها لغرض تحقيق مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع وبالتالي يتحقق التجانس المنشود في الدولة الفاضلة التي كان ينادي اليها افلاطون، من خلال هذا فانه من الافضل ان تتولى الدولة عملية التنشئة الاجتماعية السياسية حسب السياسة التي تتبناها[٢٩]، والغرض الاول من التنشئة لدى افلاطون لم يكن تعليم الفلسفة ولا التماس الحلول للمسائل الفلسفية ولا تخريج السياسيين المحنكين المؤهلين لاحتلال مناصب رفيعة وانما الغرض الاول هو ادراك الذات (Self realization) بالنسبة للكائن البشري[٣٠]، وان اهم ما في نظام افلاطون في عملية التنشئة هو ربط بين التنشئة والنظام السياسي واعتماد الثاني على الاول في قوته وضعفه، في تقدمه وتأخره حتى انه عزا فساد النظام السياسي في عصره إلى انحطاط عملية التنشئة الاجتماعية السياسية[٣١].

وأوضح (ارسطو٣٨٤-٣٢٢ ق.م[٣٢])، ان كل مجتمع يمتلك أخلاقا معينة تكفل قيامه واستمراره، فالأخلاق الديمقراطية على سبيل المثال تعطي للمجتمع الديمقراطي صورته وتضمن بقاءه[٣٣]، لذلك ركز ارسطو على التعليم وتنشئة الفرد التنشئة الملائمة لطبيعة وسياسة الدولة، فالمواطن من وجهة نظر ارسطو لابد ان يكون يلائم نوع الحكومة التي يعيش في ظلها[٣٤]، ويعد ارسطو من اوضح الممثلين للاخلاق اليونانية التي تتلخص بانها اخلاق سعادة لا أخلاق واجب[٣٥].

ثانيا- على صعيد الفكر العربي الاسلامي:

ان التنشئة الاجتماعية في الفكر العربي الاسلامي ناشئة من تعاليم القرآن الكريم الذي اكد على الطبيعة الانسانية الكونية للاسلام، وتوجيه الناس إلى حقيقة ان الله هو رب العالمين وليس رب قوم من الاقوام، وان اهم ما يميز المرحلة الاولى من عملية التنشئة الاجتماعية السياسية في عهد الرسول ﴿ ﷺ ﴾ هو هيمنة الفكر الديني شبه المطلقة، وقد شهدت هذه الحقبة مولد الفكر السياسي إلى جانب مطالع الحركة العقلية الاسلامية[٣٦] على الرغم من ذلك فاننا لا نلمس فكرا عقليا في عملية التنشئة الاجتماعية بل نجد فكرا تربويا متميزا إلى جانب الذي شاع فيها من الاحاديث النبوية الشريفة في شرف العلم وكرامة السعي في طلبه. ففي هذا الخصوص نقرأ بعض أحاديث الرسول ﴿ ﷺ ﴾ اذ يحث الناس على طلب العلم والسعي اليه فقال: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ[٣٧]) وقال ايضا﴿ ﷺ ﴾: (اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ، فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ[٣٨])، وغيرها من الاحاديث التي تشير إلى الاهتمام بالعلم والتعلم وان هذه هي التنشئة الاجتماعية التي طلب اليها الرسول ﴿ ﷺ ﴾ قبل اكثر من ١٤٢٩ سنة، فقد كانت

التنشئة الاولى تبدأ في الاسرة أي في الوسط العائلي وذلك عن طريق الممارسة، ثم بعد ذلك يأتي دور الكتاتيب التي ظهرت بعد وفاة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وكانت مقتصرة على الاغنياء وكانت الكتاتيب في العالم الاسلامي اما المسجد او مكانا مجاورا له[٣٩].

وقد برز على مستوى الفكر السياسي العربي الإسلامي عدد من المفكرين السياسيين العرب والمسلمين على مختلف العصور في مجال التنشئة الاجتماعية السياسية كان لهم دورا سياسيا بارزا منهم:- ابو نصر محمد الفارابي (٢٦٠هـ/٨٧٤م-٣٣٩هـ/٩٥٠م)[٤٠]، الملقب بالمعلم الثاني بعد أرسطو الملقب المعلم الاول، وقد اكد الفارابي على فكرة التعاون بين ابناء المدينة الفاضلة[٤١] وعن حاجة الفرد إلى الاجتماع الانساني والتعاون من اجل بلوغ الكمال الذي هو غاية الفرد وغاية النظام السياسي بقدر ما يحقق الكمال والسعادة، والتماسك بين أعضائها وشبهها بالبدن التام الصحيح الذي تتعاون أعضاؤه كلها، كما اشترط الفارابي على رئيس المدينة الفاضلة ان يكون معدا للرئاسة بالفطرة اولا والهيأة والملكة الإرادية بالتنشئة الاجتماعية السياسية ثانيا[٤٢]. من خلال هذا يمكن القول ان التنشئة على التعاون الاجتماعي تقود إلى التعاون السياسي بدل الصراع السياسي مما يحقق الاستقرار الاجتماعي والسياسي معا، كما ان التنشئة على القيادة او التدريب على الأدوار منذ الطفولة تؤدي إلى الشعور بالكفاية السياسية، والرغبة في المشاركة وتولي المناصب[٤٣].

وحث ابو الحسن علي الماوردي (٣٦٤هـ/٩٧٥م-٤٥٠هـ/١٠٥٨م)[٤٤] الناس على ضرورة طاعة اولي الامر من الحكام[٤٥]، واكد على ضرورة التنشئة الاجتماعية السياسية للحاكم عندما اشترط كأحد الشروط ان يتوافر في من يتولى الامامة مؤهلات الثقافة السياسية والادارية والحربية والكفاية النفسية والجسمية[٤٦]، وقد نصح الماوردي الملك بتقويم نفسه اولا التقويم الصحيح اذا ما اراد تقويم قومه، فاذا ما عجز الحاكم عن انتهاج الرغبة في سياسة الرعية فان النتيجة ستؤدي إلى تنشئة شعب منافق[٤٧]، وان كان مستتر او يلجأ إلى الشقاق، وان كانت مجاهرة، ويرى انه لا خير في حكم يتأرجح بين شعب نشئ على النفاق والشقاق[٤٨]، فضلا عن ما تقدم فقد شدد الماوردي على ان التنشئة الاجتماعية السياسية انما تتطلب من النظام السياسي احيانا ان يستعمل الرهبة من اجل منع المعاندين[٤٩]، وحسم سعي المفسدين؛ وذلك اقوى الاسباب في تهذيب المملكة، ومنع العصيان، كما ينصح الماوردي صاحب السلطة ان ينشأ على الاستماع وتقبل اراء الغير[٥٠].

واوضح ابن سينا(٣٧٠هـ/٩٨٠م-٤٢٨هـ/١٠٣٧م)[٥١]، الملقب بالشيخ الرئيس ان حاجة الانسان إلى الاجتماع مع غيره، وحاجة المجتمع إلى رئيس، وبيّن ان على الاخير ان يعّرف الناس بالقوانين ويسوس المجتمع[٥٢]، وبين ان على الحاكم واجبات عدة لعل من بينها منع انحراف الناس عن القواعد المتعارف عليها في المجتمع[٥٣]، يمكن القول ان ما اوصى به ابن سينا في مجال التنشئة الاجتماعية السياسية هو

ضرورة التنشئة على الاجتماع بين الناس والطاعة لحاكمهم، فضلا عن ضرورة قيام الاخير بالتنشئة على القوانين الضرورية لبقاء واستمرار المجتمع.

واكد ابن تيمية (٦٦١هـ/١٢٦٣م-٧٢٨هـ/١٣٢٨م)[٥٤]، وجوب طاعة اولي الامر، حتى وان كان ملكا، والاحتمال مع الصبر افضل من الخروج على الحاكم؛ لان في ذلك انتقاص وفوضى وهدم[٥٥]، اي انه يشجع على التنشئة الاجتماعية السياسية القائمة على الطاعة التي تقود إلى الاستقرار الاجتماعي السياسي، وهو غاية النظم السياسية من وراء عملية التنشئة الاجتماعية السياسية.

أما عالم الاجتماع العربي ابن خلدون (٧٣٢هـ/١٣٣٢م-٨٠٨هـ/١٤٠٦م)[٥٦]، فانه أعطى دورا للعصبية في الحصول على الحكم[٥٧]، اي بين اثر النسب على السلوك الاجتماعي والسياسي للفرد، كما بين اثر الثروة في الحراك الاجتماعي من البادية إلى المدن او تحول البادية او جزء منها إلى مدينة[٥٨]، ودور ذلك في قيام الدولة، وقد عزي ابن خلدون ظاهرة عدم استقرار الدولة وزوالها إلى اسباب حتمية واخطاء بشرية[٥٩]، وهناك من يرى ان ابن خلدون اول من استطاع ان يستخلص السياسة من الاعتبارات الدينية[٦٠]، واول من استطاع ان يضع اسسها التربوية بشرحها بطريقة اصح من الوجهة العلمية؛ وذلك بفضل توضيح الاثر الاجتماعي والاقتصادي فيها[٦١]، اي ان ابن خلدون بيّن كيف ان التنشئة الاجتماعية السياسية على التعاضد والتآزر في ايام المحن والاخطار القائمة اساسا على النسب تؤدي إلى قيام الدولة، واثر الثروة في انتقال خصائص التنشئة البدوية إلى التنشئة الحضرية، ومن ثم قيام الدولة بالمعنى الحديث، وقد استنتج عالم الاجتماع العراقي (علي الوردي)، في معرض حديثه عن البودقة الاجتماعية ان ما جاء به ابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي يكاد يشبه ما توصل اليه علماء الاجتماع الان، يقول ابن خلدون: (ان الانسان ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه، فالذي الفه في الاحوال حتى صار خلقا وملكه وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجبلة، وعد ذلك في الآدميين تجده كثيرا صحيحا والله يخلق ما يشاء)[٦٢]، أي أن الإنسان هو نتاج أوضاعه الاجتماعية أكثر مما هو نتاج نسبه أو وراثته الطبيعية؛ قال﴿ ﷺ ﴾: (كُلُّ مَوْلُودٍ يولَدُ على الفِطْرَةِ فأَبَواهُ يُهَوِّدانِهِ أو يُنَصِّرانِهِ أو يُمَجِّسانِهِ[٦٣])؛ فاذا نشأ الانسان في بيئة تسلط عليه منها ضغط اجتماعي، او قسر اجتماعي[٦٤]، وصار يؤثر على تكوين تفكيره وعاداته من حيث يشعر او لا يشعر، والانسان لا يستطيع ان يتخلص من تأثير ذلك الضغط الاجتماعي عليه مهما حاول[٦٥].

الخاتمة

يتضح مما تقدم ان التنشئة الاجتماعية السياسية قديمة قدم الزمن وتكمن اهميتها بمدى فائدتها لاي نظام سواء كان اجتماعيا او سياسيا وذلك لديمومة هذا النظام ومن ثم السيطرة على الفرد، وقد اكد عليها علماء الاجتماع والسياسة وبحثوا في افضل السبل والطرق وذلك لاكتساب الفرد المهارات والمعرفة التي تؤهلهم

للمشاركة في المجتمع، ومن خلال كل هذا فان التنشئة الاجتماعية السياسية هي عملية مستمرة لا تتوقف عند مرحلة معينة من مراحل الفرد وانما تستمر معه العمر كله.

الهوامش

(١) دينكن ميشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة، احسان محمد الحسن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ص٣٢٨.

(٢) مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢، ص١٤٩.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١، دار صادر، بيروت، [د. ت]، ص١٧٠.

(4) Harrison, A. A, Individuals & Groups, Understanding Social behavior, Calif, Brooks- Cole Pub. Company, 1976, P. 21.

(٥) فؤاد البهي السيد، الاسس النفسية للنمو، دار النهضة، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٢٥.

(٦) عبد علي الجسماني، سايكولوجية الطفولة والمراهقة وحقائقها الأساسية، مطبعة اسعد، ط٢، بغداد، ص١٦٤.

(٧) ابراهيم ابراش، علم الاجتماع السياسي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨، ص٢٠١.

(٨) ميادة احمد عبد الرحمن الجدة، التنشئة السياسية وعلاقتها بالقيم السائدة في المجتمع العراقي: دراسة نظرية تحليلية في علم الاجتماع السياسي، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٢،ص١٧.

(٩) عادل الاشول، مقدمة في علم النفس الاجتماعي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩، ص٢٦٩.

(١٠) نيللر، ج، ف، مقدمة في فلسفة التربية، ترجمة نظمي لوقا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،[د.ت]، ص١٦.

(١١) صادق الاسود، علم الاجتماع السياسي اسسه وابعاده، جامعة الموصل، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦، ص٢٨٥.

(١٢) سلوى عبد المجيد الخطيب ، نظرة معاصرة في علم الاجتماع المعاصر، القاهرة ، مطبعة النيل للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ص١٢

(١٣) طلعت حسن عبد الرحيم، علم النفس الاجتماعي المعاصر، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٨١، ص٩.

(١٤) سلوى عبد المجيد الخطيب، مرجع سابق، ص ١٢.

(١٥) صادق الاسود، مرجع سابق، ص٢٦٠.

(١٦) عبد المنعم المشاط، التربية والسياسة، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٢، ص٥٤.

(١٧) غريغور يوسف بهنام، احيقار الحكيم، مجمع اللغة السريانية، بغداد، ١٩٧٦، ص٥٤.

(١٨) غريغور يوسف بهنام، المرجع السابق، ص – ص ١٠١- ١٠٥.

(١٩) ماهر اسماعيل الجعفري، الإنسان والتربية، الإنسان، الموسم الثقافي لدائرة العلوم الإنسانية، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٠٠٠، ص٥.

(٢٠) عاش كونفوشيوس بين القرنين السادس والسابع قبل الميلاد واسمه هذا هو الاسم اللاتيني المتعارف عليه، اما اسمه الصيني فهو كونغ فوتزوKung Futzu اي الفيلسوف او المعلم، ولد في بلدة تسو (Tsou) الواقعة شمالي النهر الاصفر ، ولاهتماهه بالمسائل الدينية منذ حداثته ولتفوقه في اداء عمله حين كان موظفا ولاشتهاره كعالم لذلك جعله الوزير في المنطقة معلما لابنه في مسائل السلوك والتربية، ولم يكن كونفوشيوس مؤسس ديانة ولم يكن زعيما دينيا تنما كان فيلسوفا اخلاقيا ومعلما تربويا ومن المعروف عنه انه كان يكره السياسة على الرغم من انه اصبح وزيرا على احدى المقاطعات، واهم ما اهتم به كونفوشيوس هو واجبات الانسان الاساسية في مجتمع انساني وتنظيم المجتمع حسب المبادئ الاخلاقية التي وضعت منذ اجيال، وقد ترك كونفوشيوس خمسة مؤلفات اصبحت تعرف بكتب القانون الخمسة وهي: كتاب الطقوس (المراسيم)، كتاب التغيرات، كتاب الاناشيد او الاغاني، كتاب التاريخ ، وكتاب حوليات الربيع والخريف، وهذه الكتب الخمسة اضافة إلى اربعة كتب اخرى تسمى كتب الفلسفة تكون ما يعرف بالكتب التسعة القديمة وهي: كتاب الاحاديث والمحاورات ويعرف باسم (الشذرات)، كتاب التعليم الاكبر، كتاب عقيدة الوسط، كتاب منشيوس والى جانب هذه الكتب التراثية كتب كونفوشيوس الكثير من القصص والروايات التي احتوت على قصص الاخلاق والاعجاب بالحكمة. للمزيد من المعلومات ينظر:- ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ج٤، دار الجيل ، بيروت، [د.ت]، ص٤٩؛ جورج حداد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٩٥٨، ص١٣٣.

(٢١) كمال المنوفي، الثقافة السياسية للفلاحين المصريين تحليل نظري ودراسة ميدانية في قرية مصرية، دار ابن خلدون، القاهرة، ١٩٨٠، ص٥.

(22) Monroe.P, source book of history of education, the Macmillan book company, New York, 1901. P.33.

(٢٣) يبدو ان هذه الاسماء اما اسماء قادة عسكريين او اسماء معلمين اشرفوا على تعليمهم.

(٢٤) فيلسوف يوناني من اثينا شغل نفسه بعلم الاخلاق ويعد رائد عصره في التربية المنهجية الصحيحة وكان هم سقراط هو وضع الرجل المناسب في المكان المناسب عند بناء الهيكل الاجتماعي للدولة ولعل الاهتمام بالانسان من جانب سقراط جعل المهتمون بالموضوع من القول :(ان سقراط هبة الفلسفة من السماء واودعها المدن وادخلها البيوت، وجعلها ضرورة لكل بحث في الحياة والاخلاق والخير والشر.) ينظر: عرفان عبد الحميد، المدخل الى معاني الفلسفة، بغداد، ١٩٨٦، ص٥٠.

(٢٥) وهم جماعة من المفكرين الذين اخذوا على عاتقهم تعليم الناس الخطابة وفن الجدل والخروج منه بالكسب واتهموا ببيع المعرفة ، وكانوا يرون ان العادات والتقاليد هي من صنع الانسان. للمزيد من التفاصيل يراجع:- الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن الانكليزية، فؤاد كامل وآخرين، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٣، ص٢٦٧؛ صدام الزيادي، المدخل إلى الفلسفة، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٨٩، ص١٥٦؛ عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج١، مطبعة سليمان زادة، قم، ١٤٢٧هـ، ص٥٨٦.

(٢٦) اميل فهمي، التربية السياسية والوعي السياسي لطلاب كليات التربية دراسة ميدانية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧، ص٢٢.

(٢٧) محمد جواد رضا، العرب والتربية والحضارة الاختيار الصعب، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط٣، ١٩٨٧. ص١٠٥.

(٢٨) فيلسوف يوناني ولد في اثينا ونشأ تنشئة عالية تناسب الثقافة الرفيعة التي حفلت بها اثينا و تعلم على يد سقراط الذي كان صاحب الفضل في تنشئته فلسفيا فقد عاش في عصر امتلأ بالاضطرابات السياسية وحفل بالصراع الحربي الذي احتدم في حرب اهلية بين مدينة اثينا واسبارطة الامر الذي اسرع بالقضاء على الحضارة اليونانية .للمزيد من المعلومات ينظر:- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج١، مرجع سابق، ص١٥٤.

[٢٩] اميل فهمي، التربية السياسية، مرجع سابق، ص٢٣

[٣٠] محمد جواد رضا، العرب والتربية والحضارة الاختيار الصعب، مرجع سبق ذكره، ص١١٥.

(31) Kitto, H.D.F; The Greeks, Penguin books, Middlesesx, England, 1968. P.168.

[٣٢] فيلسوف يوناني جامع لكل فروع المعرفة الانسانية، وهو واضع علم المنطق، ومن هنا لقب بصاحب المنطق والمعلم الاول ، درس على يد افلاطون وشاركه في التعليم وفي بعض المؤلفات وعند وفاة افلاطون غادر ارسطو اثينا الى طرواد وقام بالتدريس والبحث العلمي والاجتماعي وظل يتنقل بين المدن اليونانية الى ان دعاه فيليب المقدوني الى بلاطه في مقدونيا ليكون مربيا لابنه الاسكندر الذي تولى العرش بعد ذلك بثلاث سنوات من تعليمه . للمزيد من المعلومات ينظر:- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج١، ص٩٩.

[٣٣] كمال المنوفي، المرجع السابق، ص٥.

[٣٤] احمد جمال ظاهر، التنشئة الاجتماعية والسياسية في العالم العربي،

[٣٥] عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق،ج١،ص١٢٢؛ نزار الطبقجلي، لمحات من الفكر السياسي عند ارسطو، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٦٩، ص٩.

[٣٦] محمد جواد رضا، العرب والتربية والحضارة، ص١٥٧.

[٣٧] البخاري، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت،٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١، ص٣٩.

[٣٨] السيوطي، جلال الدين بن ابي البكر(ت،٩١١هـ)، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١، ص٧٢.

[٣٩] محمد جواد رضا، العرب والتربية والحضارة، ص١٦٤.

[٤٠] للمزيد من التفاصيل عن حياته يمكن مراجعة: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج١١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٧، ص١٩٤.

[٤١] الفارابي، اراء اهل المدينة الفاضلة، قدم له وشرحه ابراهيم جزّيني، دار القاموس الحديث، بيروت، [د.ت]، ص١٧.

[٤٢] جهاد تقي الحسني، الفكر السياسي العربي الاسلامي دراسة في ابرز الاتجاهات الفكرية، جامعة بغداد، ١٩٩٣، ص٣٧.

[٤٣] الفارابي، المرجع السابق، ص٩٥.

[٤٤] للمزيد من التفاصيل عن حياته يمكن مراجعة: عمر رضا كحالة، ج٧،ص١٨٩.

[٤٥] الماوردي، الاحكام السلطانية والولايات الدينية،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٥هـ، ص ١٥.

[٤٦] المصدر نفسه،ص٩٧.

[٤٧] الماوردي، نصيحة الملوك، تحقيق محمد جاسم الحديثي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦، ص٩٧.

[٤٨] الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٥٦.

(٤٩) المصدر نفسه، ص٥٧.

(٥٠) المصدر نفسه، ص٣٢.

(٥١) للمزيد من التفاصيل يراجع: خير الدين الزركلي، الأعلام،ج٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣، ص٢٦١.

(٥٢) ابن سينا، عيون الحكمة، القاهرة، ١٩٥٤، ص٢٧.

(٥٣) المصدر نفسه، ص٢٨.

(٥٤) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، المرجع السابق، ج١، ص٢٦١.

(٥٥) عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى ايام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢، ص٦٥١.

(٥٦) للمزيد من التفاصيل عن حياته ينظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج٤، ص١٠٦.

(٥٧) عبد الرحمن بن خلدون (ت،٨٠٨هـ)، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢، ص١٣٢.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٥٩) المصدر نفسه، ص١٥٩.

(٦٠) المصدر نفسه، ص١٦٠.

(٦١) جهاد تقي الحسني، المرجع السابق، ص١٣٦؛ اميل فهمي حنا شنودة، المرجع السابق، ص٣٠.

(٦٢) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص١٣٠.

(٦٣) السيوطي، المصدر السابق،، ص٣٩٦.

(64)Harry Barnes, History of Sociology, London, 1959, P.506.

(٦٥) علي الوردي،دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مطبعة العاني، بغداد،١٩٦٥، ص ١٦٤.